المحور الثاني: المقاومة الإفريقية للاستعمار الأوربي وحركات التحرر

المحاضرة الخامسة:

أولا المقاومة الإفريقية للاستعمار عشية الاحتلال

خاص الإفريقيون بعد خضوع بلدانهم للسيطرة الاستعمارية المباشرة عدة معارك ضارية ضد الوجود الأوربي في بلادهم، وذلك كدفاع عن حقوقهم، وكرامتهم التي أصبحت تسلب أمام أعينهم، وزاد ذلك ترسيخا في قلوبهم بعد أن أصبح الأوربيون يوطدون في أركان الإقامة في إفريقيا، وظهور وحشية المعاملة تجاه الرجل الإفريقي، واستغلال ثرواته وخيراته، والمقومة الإفريقية بشكل عام شملت معظم البلدان الإفريقية، بحيث جل الشعوب حركتها النزعة للدفاع عن أراضيها.

1-. المقاومة في السنغال:

-. مقاومة لات ديور ديوب: كان الخصم الرئيسي في السنغال للوجود الفرنسي بعد الحاج عمر هو 'لات ديور ديوب' الذي ولد في عام 1824، واصبح زعيما لمقاطعة 'غيت' 1861، ثم ملطا لمملكة كايور عام 1862، وكان متشبع بالفكر الإسلامي، ووقعت أولى الاصطدامات بينه وبين الفرنسيين عام 1864، ودامت حتى 1881 عرفت طوال هذه الفترة صراعا عسكريا كبيرا بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة تعترف فيها فرنسا له بأن يكون ملكا على مملكة كايور، وتحت حماية الفرنسيين، ولكن عادت من جديد المواجهات بين الطرفين بسبب إقامة فرنسا لخط سكة حديد يربط دكار وسان لويس، ودامت مقاومة لات ديور حتى عام 1896.

- مقاومة ممادو لامين درامي: هو سوننكي الأاصل ولد عام 1840، قام هو الآخر بمقاومة عنيفة ضد الوجود الفرنسي ابتداء من عام 1875 في المنطقة، ولكن مقاومته لم تُعق توغلات الفرنسيين كثيرا.

- مقاومة علي بوري نديابي: ولد عام 1842 في تيال بالسنغال، كان ملكا على الجولوف عام 1885، ثم تفرغ لمواجهة الفرنسيين ليخوض عدة معارك ضدهم اشهر مقاومة قادها كانت مقاومة أرشينار 1890.

2- المقاومة في فولتا العليا (بوركينافاسو): لما بدأت فرنسا تستحوذ على جل الأراضي في بوركينافاسو تصدى لها شعب المنطقة بمجموعة من المقاومات مثلما كان يفعل شعب الساموا الذين كانوا دائمي التمرد على كتيبة الحاكم الفرنسي 'فولي'، ومن جهته أجاب ملك 'واغادوغو' الملقب بـ 'ناباكوتو وويغو' على عروض الفرنسيين بأن يعقد معهم اتفاق فكان رده على أحد القادة الفرنسين "انني أعلم أن الفرنسيين يريدون موتي كي يأخذوا بلادي، وأنت تدعي أنهم

يريدون مساعدتي على تنظيمها، ولكنني أجد بلادي كما هي على خير ما يرام" إلا أن الفرنسيّين (2) فولي وشانوان تمكنا من السيطرة على واغادوغو عام 1896.

المقاومة في التشاد: المقاومة في التشاد قادها رابح بن فضل الله أو رابح الزبير ضد الفرنسيين، ويعتبر رابح من بقايا جيش الزبير باشا في السودان انتقل بحركته بعد سيطرة بريطانيا على السودان إلى التشاد وكون جيش قوي تمكن به من دخول البرنو، وتأسيس دوله بها، وما إن بدا الفرنسيون يتوغلون إلى بلاد التشاد حتى تصدى لهم رابح بجوشه القوية ابتداء من عام 1893 لتدوم مقاومته حتى عام 1900 تكبدت خلالها فرنسا خسائر كبيرة جدا راح ضحيتها آلاف الجنود الفرنسيون، كما قتل أيضا القائد العسكري 'إميل جونتيل'، لكن في عام 1900 تمكنت القوات الفرنسية من الإطاحة بقوات رابح بن فضل الله، وقتل هو أيضا، وتمكن الفرنسيون من بعدها دخول البرنو والسيطرة على كامل بلاد التشاد.

المقاومة في السودان: تعددت المقاومات المحلية ضد الاستعمار البريطاني والمصري في السودان؛ إلا أن مقاومة السلطان علي دينار بن زكريا ما بين 1900 و1916 ويعتبر علي دينار أحد الأمراء في دولة الدارفور، ولما أدرك خطورة الاستعمار البريطاني جهز له عدة حملات عسكرية انتصر عليه في عدة مرات، ولكن بوصول المدد البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى بقيادة 'هدلستون' باشا، ودامت مقومته إلى غاية عام 1916، حيث قتل في مدينة الفاشر بالسودان.

المقاومة في نيجيريا: أرسلت الحكومة البريطانية قواتها ضد 'الإيبو' لكنها تكبدت خسائر فادحة، وعندما تأكد أميرا 'نوبي' و'إيلورين' من خطر المعاهدات المبرمة مع البريطانيين حاولا المقاومة، ولكن قضي عليهما عام 1897، وفي العام نفسه قدم القنصل الانجليزي 'فيليب' إلى منطقة 'بينان' لتأنيب 'أوبا أوفيرامي' المتهم بمتابعة تجارة الرقيق، وتقديمه ضحايا بشرية، وكان هذا الأخير قد عقد من قبل معاهدة الحماية البريطانية التي منحت له نوع من الحرية، فقام بقتل فيليب ومرافقيه، فكان الرد الانجليزي رهيبا، حيث احتلوا مدينة بينان ونهبوها، وسلبت آلاف التحف على يد الجنود، أما أوفيرامي فقد نفي، وتوجب على 'لوغارد فريديريك' أن يخوض كثير من المعارك ليتمكن من اخضاع الإمارات الشمالية لصالح بريطانيا.

ثورة ضريبة الأكواخ في سيراليون: كانت ثورة ضريبة الأكواخ في سيراليون عام 1898 تعبيرا عن استياء شعبي التمني والماندي، وذلك نتيجة تشديد قبضة الحكم البريطاني بتعيين مفوضين عليهم للأقاليم، وتعزيز شرطة الحدود، وتنفيذ مرسوم الحماية الصادر في 1896 والذي رخص للحكومة بالاستيلاء على الأراضي البور، وتبعتها فرض ضريبة مقدارها خمسة شلن على كل منزل أو كوخ من غرفتين، وعشرة شلن على المساكن الكبيرة، وهو ما أدى بزعماء شعب التمني بالامتناع عن دفعها، وثاروا ضد الحكم البريطاني بزعامة 'باي

بوريه'، وانضم إليهم شعب الماندي، وبذلك اشترك في الثورة قرابة ثلاثة أرباع سكان المحمية، فنهبوا المحطات التجارية الخاصة بالأوربيين وبالإفريقيين المحررين (الكوريول)، وقتلوا الموظفين، وكانوا في حدود عام 1898 يستعدون لدخول فريتاون، لكن الحكومة البريطانية التي استعانت بقواتها من لايغوس استطاعت اخماد تلك الثورة، وفرض نظامها على جميع المحمية.

حرب نانيا اسانتيوا بغانا:

اندلعت ثورة الأشانتي عام 1900، وكان شأنها شأن ضريبة الأكواخ، وكانت أسبابها تتمثل في محاولات البريطانيين تشديد قبضتهم عن طريق عزل بعض زعماء الأشانتي المناوئين للحكم البريطاني واستبدالهم بأشخاص غير مؤهلين في الحكم، كما فرضت على الأهالي ضريبة مقدارها 4 شلن على كل فرد كغرامة عن حرب 1897 التي حاول فيها الأشانتي رد الاستعمار البريطاني، ولكن الشيء الذي أفاض الكأس وعجل بالثورة هو مطالبة الحاكم البريطاني 'أرنولد هدغسون' بأن يرسل إليه المقعد الذهبي كي يجلس عليه، وكان هذا المقعد من أقدس المقدسات عند الأشانتي، بحيث كانوا يعتبرونه تجسيدا لروحهم ولبقائهم، وهو ما أدى بهم إلى اشعال ثورة في جميع المناطق التي كانت تابعة لملكة مقاطعة 'أدويسو' نانايا أسانتيوا، واستمرت الثورة الشعبية من أفريل إلى نوفمبر 1900 هاجمت خلالها قوات الأشانتي الحاكم البريطاني وحاشيته الذي كان محمي داخل حصن كوماسي وانتهت الثورة بإلقاء القبض على الملكة ونفيها إلى سيشل.

المقاومة في أنغولا: ثار شعب الكوانهاما عام 1897 في وجه الاستعمار البرتغالي، وذبحوا أفراد بعثة برتغالية عسكرية كانت مكلفة بإقناعهم بتطعيم ماشيتهم، واستمرت حرب العصابات ضد البرتغاليين حتى عام 1904، حيث مزق الجيش البرتغالي، فأرسل البرتغاليون حملة انتقامية عليهم عالم 1906 غزت مواقعهم، ولكنها لم تتمكن من القضاء عليهم حتى عام 1915، حيث انتهت بهزيمة مونغا، كما ثار شعب الأوفيمبوندو والديمبو عامي 1902، 1907 احتجاجا على أعمال السخرة ونهب أراضيهم فنظموا أنفسهم وقاوموا البرتغاليون إلا أن تم اخماد مقومتهم.

المقاومة في ناميبيا: قامت في جنوب غرب إفريقيا ثورة الهيريرو والهتنتوت بتحريض من قائدهم 'ويتبوا' للاحتجاج على مصادرة أراضيهم، ولكنها أخمدت كبقية الثورات بالعنف، وتشرد الهيريرو في الصحراء، وهلكوا حيث بلغ تعداد الهالكين 60 ألف، لكن عام 1904 انتهز الهيريرو فرصة انسحاب القوات الألمانية من هيريرولاند، وقاموا بتمرد في جانفي 1904، قتلوا خلالها 100 ألماني، ودمروا مزارع عديدة خاصة بالألمان.

المقاومة في تنجانيقا: لم تجد ألمانيا الامور سهلة في إخضاع سيطرتها على شرق إفريقيا، ولم تنعم بالسكينة والأمان قط في المنطقة فقد واجهتها منذ الوهلة الأولى مقاومة عنيفة من قبل العرب على الساحل، وظهر في هذا الميدان زعيم يدعى أبو شيري بن صالح اتخذ من مدينة 'شمبي' مركزا لنشاطه، تصدى للألأمان وهاجمهم بعنف في كل مكان، ولما عجزت الشركة الألمانية عن مواجهته استنجدت بالحكومة الألمانية التي عينت 'هيرمان فويرمان' وأمدته بقوة ضخمة استطاعت مهاجمة الثوار وأجبرتهم على الانسحاب للداخل، واشتدت الثورة في الداخل، وبسبب سيطرة الألمان على السواحل، وقطع الدعم الخارجي عن الثوار انتهى الأمر بالقبض على أبو شيري وإعدامه في 15 ديسمبر 1889.

ثورة الماجي ماجي: تعتبر هذه المقاومة أكثرهم أهمية في شرق إفريقيا، حيث امتد نشاطها من بحيرة نياسا وساحل كلوة، وشاركت فيها كل القبائل الإسلامية والوثنية في محاولة منها لطرد الألمان، وقامت عملية الاغتيال للموظفين الرسميين وأعضاء البعثات التبشيرية والمزارعين الأوربيين والتجار، وتعود أسباب قيام هذه الحركة إلى الأساليب والوسائل التي استعملها الألمان في استغلال الشعوب خاصة فرض الضرائب، وأهمها ضريبة الكوخ التي أدخلت عام 1895، بالإضافة إلى فرض نظام العمل الجماعي.

المقاومة في كينيا: تصدى شعب النانديي في كينيا لمدة أكثر من 7 سنوات للقوات البريطانية التي اجتاحت بلادهم، وأكثر ما زادهم حماسا في مواصلة مقاومتهم هو مد الخط الحديدي عبر أراضيهم، وعرف النادي بتنظيمهم الجيد في الحياة الاجتماعية والعسكرية، وهو ما صعب من مهمة البريطانيين في اختراق صفوفهم، وأبرز شخصية عرفت في هذه المقاومة هو 'أوياكي' المنحدر من قبائل الجيكويو.

وعلى الساحل قاومت عائلة مزروعي فرض سيطرة الشركة البريطانية لشرق إفريقيا حيث قاد هذه المقاومة مبروك بن رشيد الذي نظم حرب كر وفر، ولم يتمكن البريطانيون من هزيمته إلا بعد جلب تعزيزات عسكرية من الهند، وهرب على إثرها بن رشيد إلى تنجانيقا ليقع بين يدي الألمان، وكانت عائلة المزروعي تسيطر على تجارة الحبوب عبر الساحل الكيني.

المقاومة في أوغندة: بعد توقيع الملك البوغندي 'موانغا' اتفاقية الحماية مع البريطانيين، وقف ملك البانيورو 'كاباريغا' ضد هذه الاتفاقية وأعلن الحرب ضد البريطانيين الذين كان يقودهم الحاكم البريطاني 'فريديريك لوغارد' ابتداء من عام 1891 من جهة، وضد مملكة بوغندة من جهة ثانية، دامت مقاومته حتى عام 1899.

ردود الفعل في جنوب إفريقيا: كانت المواجهة العنيفة، والغزو والدمار أمرا محتوما بالنسبة للزولو والنديبيلي والبيمبا، وذلك لكونهم كانوا يسعون إلى حكم الأراضي التي كان يسعى إليها

في نفس الوقت الاوربيون، والزولو والنديبيلي كانوا كمجموعة يحتلون أكثر أراضي جنوب إفريقيا كثافة بالسكان وخصبا للتربة وثراء بالمعادن، فكان من المستحيل عليهم بحكم مصالحهم أن يتهادنوا مع الأوربيين أو يتعايشوا معهم؛ لذلك قرر الزولو بقيادة 'ستشوايو' والنديبيلي بقيادة 'لوبنغولا' اللجوء إلى استراتيجية المواجهة مستخدمين الطرق الدبلوماسية أول الأمر ثم طرق المقاومة المسلحة بعد ذلك، واندلعت المواجهة بين هؤلاء وبين البريطانيين ابتداء من عام 1878، وبعد عام غزى البريطانيون بلاد الزولو وبقو في المقاومة حتى عام 1884 اين خضعت للسيطرة البريطانية بشكل تام.

أما النديبيلي فكانت مقاومتهم قد امتدت من 1870 حتى 1890 بقيادة زعيمهم 'لوبونغولا'، وفي حدود عام 1888 وصل سيسيل رودس بشركته ففضل الخيار العسكري، وأخضع النديبيلي للبريطانيين كذلك

المحاضرة السادسة

ثانيا حركات التحرر الإفريقية

1/ عوامل ظهور الوعي القومي والفكر التحرر في إفريقيا

مقدمة: حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914 كانت كل القارة الإفريقية باستثناء اثيوبيا وليبيريا قد وقعت تحت نير الاستعمار الأوربي، ورغم تصريحات الحلفاء اثناء الحرب العالمية بحق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها بنفسها، وحسب إرادة شعوبها إلا أن الدول المنتصرة في الحرب ابتدعت نظاما جديدا يعرف بنظام الانتداب على مستعمرات الدول المنهزمة في الحرب العالمية لتخفي وراءه مطامعها، وحددت وظيفة الدول المنتدبة بأن تقدم المشورة، والمساعدات الأولية للقطر المنتدبة لإدارته إلى أن يحين الوقت الذي يمكن فيه لذلك القطر إدارة شؤونه بنفسه.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى تم تجريد ألمانيا من مستعمراتها من إفريقيا واقتسمتها القوى الأوربية الأخرى، والتي زادت من حدة استغلالها للدول المستعْمَرَة في القارة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين.

كل هذه التطورات داخل القارة الإفريقية وخارجها، والتي كانت متزامنة مع زيادة استغلال الفرد الإفريقي بدأت تظهر عقب الحرب العالمية موجة من الوعي القومي والفكر التحرري لدى هؤلاء الأفارقة، ستكون هي الإرهاصات الأولى لبداية النضال ضد الهيمنة والاستغلال الأوربي للأفارقة.

العوامل المساعدة على ظهور الوعي القومي والفكر التحرري في إفريقيا:

إن قضية اليقظة القومية في إفريقيا هي قضية بعث لشخصية تحاول أن تفرض نفسها أمام السلطة القائمة، وفي هذا المعنى ظهرت القومية الإفريقية منذ اللقاءات الأولى مع الأجانب، ولم تختفي أبدا في أي حين؛ بل كانت الحقبة الاستعمارية طورا تاريخيا لم تكن الروح القومية المعروضة أو المسحوقة تستطيع أن تظهر فيه إلا على شكل انتفاضات، ثم ما لبثت أن ظهرت ظروف تاريخية جديدة أعطتها قوام الثورة التي كانت لها جذور حركتها وأسكنتها في قلوب الأفارقة.

العوامل الخارجية التي كانت وراء بروز الوعي القومي والفكر التحرر في إفريقيا:

أ/ الحرب العالمية الثانية ونتائجها: كانت الحرب العالمية الثانية التي انتهت عام 1945 بالتفجير النووي المأساوي على كل من هيروشيما وناكازاكي منعطفا خطيرا على إفريقيا، فقد شارك مئات الآلاف من الإفريقيين في ميادين القتال المختلفة في ليبيا وإيطاليا ونورماندیا، وألمانيا والشرق الأوسط والهند الصينية، ونقلت احتياطات بنك فرنسا ووضعت في منطقة كامي بمالي.

وخلال هذه الحرب احتكت إفريقيا السوداء بالعالم أجمع على نطاق واسع مثل ما حدث في الحرب العالمية الأولى التي اشترك فيها أزيد من 250 ألف من جنود المستعمرات، بينما اشترك في الحرب العالمية الثانية 127320 من رماة غرب إفريقيا الفرنسية و15500 من إفريقيا الاستوائية، و34000 من مدغشقر، وعندما وقعت الهدنة كانت السنغال قد خسرت من أبنائها 24271، ومدغشقر 4350، وكانت هذه مناسبة لمئات الآلاف من الإفريقيين السود أن يكتشفوا فجأة الرجل الأوربي على حقيقته من غير عناقه الامبريالي، ولا بعظمته التي كان يتوارى خلفها، فقد رأوا البيض يعملون ويكدون، يجوعون ويعطشون، ورأوا آخرين يرتجفون من الخوف، يكذبون ويخونون، ويخنق بعظهم بعضا.

ولم يكن السود لا أفضل ولا أسوأ من سكان بقية مناطق الارض، وكتب دافيد لنفجستون عن هذا الامر حيث قال: "فالبعض قد اقترنوا في إفريقيا مع فكرة السيادة والتفوق الاستعماري، وقد انكشفوا الآن ذئابا فيما بينهم، كما اكتشف الأفارقة قيمتهم الشخصية، وشعروا دفعة واحدة بأنهم فرسان قضية تريد أن تخترق الحاجز بين بني الإنسان، ذلك الحاجز هو الكرامة الانسانية.

دور هيئة الأمم المتحدة: لعبت هيئة الأمم المتحدة دور كبير في نهضة القومية الإفريقية، وكانت الهيئة قد ركزت في المادة الأولى من ميثاقها أن من أهدافها المثلى "أن تنشر بين الأمم علاقات صداقة مبنية على احترام مبدأ المساواة في حقوق الشعوب، ومنها حق تقرير المصير"، وما لبثت أن أصبحت المنظمة محكمة عالمية يتكلم فيها ممثلو الشعوب المستعمرة بدءًا من رعايا الشعوب الواقعة تحت الاستعمار المباشر، كما أصبح مبنى المنظمة صندوقا للدعاية لم يسبق له مثيل لاكتساب الرأي العام العالمي، ومكبرا لصوت الضعفاء، وأرسلت الهيئة العديد من المحققين إلى إفريقيا، وبالخصوص إلى معاقل التمييز العنصري في جنوب إفريقيا وزيمبابوي، كما أقامت عدة لقاءات إقليمية كمؤتمر وزراء التربية الوطنية للإفريقيين في أديس أبابا عام 1961.

القدوة الآسيوية: لعب تحرير آسيا دورا مباشرا وفعالا في هذا المجال، ونشأ تضامن حقيقي، وسريع بين القارتين الآسيوية والإفريقية، وكان لهزيمة الفرنسيين في معركة ديان بيان فو عام 1954 صدى بالغ الأثر في إفريقيا لأن آلاف الإفريقيين كانوا هناك تحت إمرة الفرنسيين.

كما لعبت كل من الصين والهند دورا مرموقا في نهضة القومية الإفريقية السوداء، فأثر استقلال الهند عام 1947 كبير على الإفريقيين، وخاصة المستعمرات الإنجليزية كجنوب إفريقيا، وأوغندة، وكينيا فظهرت أحزاب تحمل نفس تسمية حزب المؤتمر الوطني الهندي كحزب المؤتمر الوطني الإفريقي في جنوب إفريقيا، وحزب المؤتمر الوطني الأوغندي في أوغندة، كما أن شخصية المهاتما غاندي الذي هزمت قوته الأسد البريطاني أشاعت في إفريقيا الاستوائية طريقة النضال الذي لا يلجأ إلى العنف، وقد تبنت أندونيسيا عن طريق زعيمها أحمد سوكارنو طريقة مشابهة، ففي هذه البلاد اجتمع في عام 1955 في مؤتمر باندونغ ممثلو 29 دولة وشعب يمثلون شعوبا أغلبها تحت الاستعمار بتعداد سكاني يفوق مليار ونصف مليار من السكان، كلها تريد أن تنهض من جديد، وتلعب دورا في القضايا الانسانية.

تأثير الحرب الباردة: كان للحرب الباردة تأثير واضح على الشعوب الواقعة تحت الاستعمار، حيث كانت كل الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي تسعى لضم أكبر عدد من البلدان إلى جهتها؛ مما استدعى منها خصوصا الاتحاد لسوفياتي دعم حركات التحرر في القارة الإفريقية عن طريق الأحزاب الاشتراكية التي وجدت فيها المساندة والدعم الكافيين لمواصلة النضال من أجل الاستقلال، وبرز أكثر في كل من غانا وكينيا وتنجانيقا والجزائر ومصر، ومن جهة أخرى كان للحرب الباردة دور في بروز حركة عدم الانحياز التي اخذت هي الأخرى على عاتقها قضية دعم حركات التحرر وتصفية الاستعمار من قارة إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

التناقضات الداخلية للنظام الاستعماري: خلال الحربين العالميتين كانت الشعوب الإفريقية مطالبة بأن تقدم مجهودا استثنائيا لأمين المواد الأولية الاستراتيجية كالمعادن، والخشب والمواد الغذائية التي كان يحتاج إليها الغرب لتلبية احتياجات الحرب، ومن المعرف أن أول فنبلة نووية أمريكية عصفت بهيروشيما صنعت من اليورانيوم الكونغولي.

وتتالت أعمال التجنيد والمصادرات والأعمال الاجبارية والضرائب من كل نوع حتى أدت أحيانا إلى انتفاضات دامية، وانتشرت المجاعات في المدن الساحلية، ومع ذلك فإن الناس تحملوا ما فرض عليهم من مجهود حربي دون مقاومة كبيرة، وصبروا على لانهم شعروا أنهم يشاركون في مأساة شملت العالم كله.

ولكن هذا المجهود الحربي كان أقل قسوة مقارنة بلجنود الذين واجهوا القوات النازية وجها لوجه، وعندما انتهت الحرب كان من الطبيعي أن تظهر بينهم تلك الرغبة الشرعية في أن يجدوا نمطا من الحياة أقل قسوة، ولكن المبادئ الاستعمارية التي يرسخها التدريب والممارسة الاستعمارية كانت تصب في التيار المناهض للاستعمار، فالفرنسيون كانوا يقولون للإفريقيين "نحن وأنتم سواء" وهم يدركون استحالة هذا الوضع.

وهكذا فإن الاستعمار بشكل مباشر أو غير مباشر يصب في اللااستعمار، ويظهر ذلك عند فرنسا التي تؤمن بمبدأ المساواة الفرنسي الذي لا يأخذ بالتمييز العنصري، وبين ضرورة أن تبقى فرنسا محتفظة بشخصيتها المستقلة واستئثارها بالسلطة الادارية.

ب/ العوامل الداخلية المحركة للقومية الإفريقية

1**- النقابات العمالية**: كان ظهور الحركة النقابية في إفريقيا متأخرا بسبب منع سياسة التصنيع في إفريقيا، ومنع التنظيم النقابي تبعا لقانون الاستعمار، ومعظم النقابات التي ظهرت كانت أغلبها بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، ولم تعترف بريطانيا إلا في عام 1930 بحق التنظيم النقابي في مستعمراتها، وفي غانا لم يكن يوجد قبل عام 1941 نقابات مسموح لها بالعمل.

ويعود سبب تأخر وضعف هذه النقابات إلى ضعفها العددي، ففي عام 1952 كان ثلثا النقابات الخاصة بالقطاع الاقتصادي (المناجم، السكك الحديدية، المزارع) في ساحل الذهب، ونصف النقابات في نيجيريا لا يشترك فيها من الأعضاء أكثر من 250 عضو، في الوقت الذي كانت فيه اتحادات نقابات المعلمين في نيجيريا تضم 42 ألف نقابي، وسبب ضعفها العددي هو الخوف من الانتساب إلى تنظيمات نقابية تتمتع بسمعة تخريبية لدى الأعمال والسلطات الإدارية الاستعمارية، بالإضافة إلى هشاشتها المالية، كما أن الغالبية الساحقة من العمال مانوا من العمال اليدويين غير المؤهلين.

وعن أبرز التنظيمات النقابية في إفريقيا أثناء فترة الاستعمار الأوربي لدينا الجمعية السودانية في الخرطوم التي اكتسبت حقوقها النقابية بعد نضال كبير تمثل في إضراب استمر 10ايام نفذه 000 10 من موظفي السكك الحديدية، وكذلك كان شان اتحادات عمال السكك الحديدية الإفريقية في كل من كينيا، وإفريقيا الفرنسية وأوغندة، والتي كان عدد كل نقابة منها 15000 عضو.

ولعبت النقابات العمالية دورا كبيرا في توعية الشعب، وذلك لتمركزهم في المراكز الحيوية من البلاد، واستخدام اسلوب الإضراب، وشل القطاعات الاقتصادية الحيوية، وكان أبرز إضراب قام به نقابيو نيجيريا عام 1945، وغانا 1950، وأوغندة 1945، وفي إفريقيا الفرنسية كانت أقوى النقابات العمالية قد سيطرت على المراكز الحساسة كمزارع البن والفول السوداني والقطن.

ونجد في المستعمرات الفرنسية أقوى النقابات العمالية مثل اتحاد العمال المسيحيين، القوى العاملة، هذه النقابات ذات أصول تصل إلى الاتحادات النقابية الدولية مثل التحاد النقابي العالمي، الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية، الاتحاد الدولي للنقابات الحرة، الكونفدرالية العامة للشغل.

وفي بداية الأمر بدأت هذه النقابات عملها في شكل مطالب اجتماعية، كمطالب العمل تحت شعار عمل مساوٍ أجر مساوٍ، وحقوق العمال الإفريقيين خاصة في المناطق التي كان يسودها التمييز العنصري كروديسيا الجنوبية، وكينيا وجنوب إفريقيا، وفي هذا الشأن كان الشعور القومي واضحا وبدأ يتزايد، تزايد معه الاضطهاد الأقصى من نقل وتسريح تعسفي وسجن، وذلك حال النقابي 'سيديبي' والنقابي المالي 'لازار كوليبالي' عام 1952، وهو ما زاد من حماس النقابات الإفريقية التي دعت على لسان قادتها 'سيكوتوري' و'ديالو سيد' و'ديالو عبد الله'، حيث رفضوا التباعد النقابي، وطرحوا موضوع الصراع الطبقي، ووضعت قضية التحرر الساسي في مقدمة أهدافها النضالية.

2- **دور المفكرين والأدباء:** في الوقت الذي كان فيه الموظفون والعمال يصلون إلى الشعور القومي عبر تجربتهم القاسية، وعن طريق علاقات عملهم، فإن المفكرين وصلوا إلى الشعور نفسه عن طريق تجربتهم التي عانوها في تبعيتهم الثقافية، وفي هذا المجال وجد الإفريقيون أنفسهم مع الكتاب الأنتليين والملاغاشيين يمشون في قافلة فكرية واحدة نحو أرض ميعاد لم تكن غير بلادهم، فظهر 'إنين ليرو' ليؤسس صحيفة سماها الدفاع المشروع، يوضح فيها ضرورة التوحد لتحرير إفريقيا.

وظهر سنغور وترومبت، ودافيد ديوب، وناي دادي، وليون داماس' كلهم ساهموا في ظهور النزعة الزنجية، وقد استمرت حركة الأفكار هذه وانتعشت على يد مجلة الحضور الإفريقي التي كان يشرف عليها 'أليون ديوب'، وقد لعب هؤلاء المفكرين دورهم التاريخي كرواد يمثلون الآلام المحمومة لإفريقيا، كما صدر كتاب ليوب شيك تحت عنوان الأمم الزنجية وثقافتها.

3- **الرابطات والحركات الشبانية:**

شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين قيام عددا متزايدا من الرابطات الإثنية والاجتماعية والادبية، ورابطات الخريجين والمتطوعين، والشباب، وكان في ساحل الذهب وحدها مثلا عام 1930 نحو 50 من الأندية والرابطات، وكان معظمها قد تشكل فيما بين 1925 و1930، ومن أمثلة هذه الأندية فريق أشيموتا للمناقشة، والنادي الأدبي والاجتماعي، ونادي بوريكا في كيب كوست، ونادي أوبتيموم، والنادي الأدبي والاجتماعي في سيكوندي، ونادي كوزموس، ونادي روجر في آكرا، وجمعية آنوم للترقي، وعصبة الإيوي في بنين، واتحاد كوتونو في بنين أيضا.

وعقدت هذه الرابطات الشبانية مؤتمرها الأول عام 1929 بآكرا ظم جميع التنظيمات الشبانية في غرب إفريقيا، وفي سيراليون كون ولاس جتنسون منظمة عصبة الشباب، وعصبة شباب غرب إفريقيا، وتشكلت حركة الشباب النيجيري عام 1934، وقد أكد أحد

الباحثين النيجيريين أنها كانت تكاد تجمع كل المثقفين الشباب في تلك الفترة، وعلى رأسهم 'ديفيز'، و'ناندي أزيكيوي'، الدكتور 'فوغان'، الدكتور 'كوفو أبايومي'، أوبافيمي أولولو، وكان زعماء هذه الأندية والرابطات إما من الصفوة المتعلمة في مدارس الارساليات، وإما من المحامين والأطباء، ورجال الأعمال الشباب.

ومن جهة مطالب هؤلاء فعلى سبيل المثال كانت مطالب حركة الشباب النيجيري تدعو إلى أن يكون للإفريقيين الأغلبية في المجلس التشريعي، وإلى تمثيل كل النيجيريين تمثيلا عادلا بينهم، وبين البيض كما كانوا ينتقدون نظام الحكم الغير المباشر، وهذا الأمر نفسه كان عند شباب مؤتمر ساحل الذهب، حيث كان هؤلاء يطالبون بمشاركة الشباب في الاقتصاد على قدم المساواة.

أما في شرق إفريقيا فقد ظهرت كذلك العديد من الجمعيات الشبانية على رأسها جمعية شباب الباغندة عام 1923 التي كان لها دور في معارضة الرؤساء وكاباكا بوغندة، والحكومة الاستعمارية البريطانية، كما قامن من جهتها جمعية الكافيروندو بدور كبير في تعبئة الفلاحين في نيانزا، والمطالبة بتخفيف الضرائب على الفلاحين، وخاصة ضريبة الكوخ وضريبة الرأس، وإعفاء النساء منها.

أما الجمعية العامة للكيكويو التي تأسست عام 1921 والتي اشتهرت بعملها الدؤوب وقدرتها التنظيمية خلال تلك السنوات، حيث ركزت في نشاطاتها على استرداد الأراضي التي أخذها منهم الأوربيون ثم توسعت مطالبهم إلى التعليم وانشاء مدارس للبنات، وزيادة عدد المقاعد المخصصة للإفريقيين في المجالس التشريعية، وكانت هذه الجمعية هي من وراء قيام ثورة الماو ماو عام 1952.

وبصفة عامة اقتصرت مطالب الحركات الشبانية على تحسين المرافق التعليمية وزيادتها، التعليم الجامعي، رفع الأجور، التمثيل العادل في المجالس التشريعية والنيابية، إلغاء التمييز العنصري.

حركة الطلبة: كانت حاجة الواعين في إفريقيا أكبر في تحقيق الأمن والاستقرار، وإعادة الاعتبار للرجل الإفريقي في القارة السمراء، وكان الطلاب الأفارقة يقتربون كثيرا من أفكار الجامعة الإفريقية التي كانت منتشرة عند رجال الفكر في البلاد الإفريقية.

وأُعتبرت بريطانيا السباقة في قبول عدد كبير من الجامعيين الإفريقيين الذهاب إليها للدراسة على نفقة أوليائهم، وفي عام 1932 ولد أول اتحاد طلابي في لندن يخص الطلبة الأفارقة سمي اتحاد طلاب غرب إفريقيا WASU، وفي عام 1951 كان للمستعمرات الإفريقية 2747 طالبا في بريطانيا، وعندما أنشئ اتحاد طلاب إفريقيا في فرنسا عام 1952 إنزج كل الطلبة في معركة النضال القومي الإفريقي، كما كان للطلبة الأفارقة في قارة أمريكا

والذي فاق عددهم 700 طالب كلهم كانوا مناهضين لظاهرة التمييز العنصري في إفريقيا، وتأكدت أولى رياح الفكر والنضج الثقافي والسياسي في جامعة السوربون، حيث أطلق الطلاب الزنوج والملاغاشيون أول إعلان لهم إلى العالم معلنين استقلالهم الثقافي، فانعقد أول مؤتمر للكتاب والفنانين والطلبة السود في فرنسا عام 1956، ثم تلاه المؤتمر الثاني في روما عام 1959.

المؤسسات الدينية (الكنائس): عَبَرَتْ عن طريق الكنائس الموجودة في إفريقيا القومية الإفريقية، التي بدأت تعبر عن نفسها عن طريق العقيدة، وسر اتحاد جميع المسيحيين في القارة، لأنها تشكل رابطة أوسع بين الجميع، وظهرت في إفريقيا كنائس جديدة منها الكنيسة الأرثوذكسية الإفريقية التي أنشأها الجمايكي 'ماركوس جارفي'، وبدأت في نشر أفكارها تحت شكل مزدوج استقلالي، وديني، وقبل أن تبرز الكنائس على الساحة السياسية كان لها دور في تخريج آلاف الأطفال من المدارس الخاصة، حيث اعتبرت الكنيسة المدرسة الاضافية للطفل الإفريقي في توعيته، وتنمية الفكر القومي فيه، وبالخصوص الكنائس والمدارس التي يشرف عليها رجال من الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية.

النشاط الصحفي: كان للنشاط الصحفي في القارة الإفريقية دور في توعية الناس، وتعريفهم بما يدور من حولهم من أحداث، كما أُعتبر هذا النشاط وسيلة لنقل الدعايات المضادة للاستعمار والامبريالية، وقد تراوح صدور الصحف ما بين يومية، وأسبوعية، ونصف شهرية، وشهرية، وقد وجد عدد منها في إفريقيا قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وذلك شأن صحيفة اللواء المصرية التي أنشئت عام 1900، صحيفة الديمقراطية في السنغال (La démocratie au Sénégal) عام 1891، ولكن غالبية الصحف المؤثرة كانت قد أنشئت في فترة ما بين الحربين العالمينين، ومن أبرزها صحيفة The times of Nigeria التي دام نشاطها من 1921- 1930، وصحيفة ديلي تايمز 1926، وصحيفة لايغوس ديلي نيوز Lagos Daily News 1925- 1938، والمنظار الإفريقي (Périscope Africaine) في دكار، وبريد غرب إفريقيا courrier d'ouest african)،

وتوجد صحف أخرى باللغة الإفريقية مثل الصحيفة اليوروبية 'أكيدي أيكو' لعام 1932، إلى جانب صحف جاءت من خارج إفريقيا وهي عبارة عن دوريات ذات إتجاه شيوعي مثل العنصر الزنجي، عالم الزنوج، وصوت الزنوج La vois de négres.

وقد وفرت هذه الصحف الوسيلة لنشر النشاط الوطني والمناهض للاستعمار عبر الحدود لذلك كانت تشكل مصدر قلق مستمر للمسؤولين الاداريين الاستعماريين لأنها أحد المتغيرات الهامة التي يتوقف عليها التعبير عن النزعة الوطنية، والروح القومية بين مختلف فئات المجتمع وبالخصوص المتعلم منهم .